الدرس التاسع العاشر

تفسير سورة المعارج [٤٠ :٤٤]

{ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)}

قال ربنا ﷻ: {كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج:٣٩-٤١].

ما معنى هذا التعبير، {فَلا أُقْسِمُ} قال بعض العلماء: إن مثل هذا، (فلا) هذا كلمة رفع لهم، ثم استأنف فقال: {أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} مثل: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة:١]، {لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد:١].

ولكن الأقرب في توجيه هذه الصيغة، أن المقصود أن الأمر لا يحتاج إلى قسم، الأمر من الوضوح والبيان بمكان، {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}، أي: لا يحتاج الأمر إلى قسم، فهو من الوضوح بمكان، من البيان بمكان، فيكون بهذا أدل على المراد.

والله ﷻ هو رب المشارق والمغارب، والمشارق والمغارب جاءت في صيغة الجمع لتعددها، فثم مشارق للشمس، ومغارب لها، مشارق للقمر ومغارب له، مشارق للنجوم، ومغارب لها، ثم هذه المشارق تتعدد بتعدد الأماكن، وتتعدد وتتنوع بتنوع الفصول، فمشارق الشمس في الصيف ليست كمشارقها في الشتاء، وكذا مغربها في الصيف ليس هو كمغربها في الشتاء.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

وهكذا ناهيك عن بقية الأجرام السماوية، فالمشارق والمغارب لا يحيط به وصف، والله تعالى يُقسم بمعظم، كما يقول: {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة:٧٥]، {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج:٤٠]، علاما أقسم ربنا؟ {إِنَّا لَقَادِرُونَ} [المعارج:٤٠] وهو ﷻ صادق بار من غير يمين، من غير قسم، لكن هذا للتأكيد.

على أن نُبدل أمثالهم {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج:٤١]، فالله ﷻ قادر على أن يبدل أمثالهم، وينشئهم خلقًا جديدًا، وللعلماء في هذه الآية قولان:

القول الأول: أن المراد على أن نبدل أمثالهم، يعني أن نخلقهم {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ} [المعارج:٤١]، أن المقصود نبدل خيرًا منهم، يعني أن نخلقهم خلقًا جديدًا أفضل من الخلقة الأولى، ليس فقط على خلقتهم الأولى، قادرون أن نخلقهم خلقًا خيرًا من خلقهم الأول.

وهذا هو المناسب للسياق؛ لأن الكلام على إثبات البعث، والمجازاة.

والقول الثاني: وهو الذي ذهب إليه ابن جرير الطبري، أن المقصود {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ} [المعارج:٤١] أن يستبدلهم بقوم آخرين، كما قال في الآية الأخرى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد:٣٨].

لكن رجح ابن كثير المعنى الأول، لمناسبة السياق له، بأن الحديث إنما هو عن إثبات البعث، والجنة والنار، وموعود الله تعالى بيوم الدين، الذي يتصف المصلون بأنهم يصدقونه وأنهم منه مشفقون، فالسياق يدل على هذا، {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج:٤١]، يعني غير معجزين، ولا يسبقنا سابق إلى هذا.

{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج:٤١-٤٢]، فذرهم في هذا

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

من التهديد والوعيد، ما فيه، فكأن الله تعالى قال لنبيه دعهم دعهم سيجدون غِب أعمالهم، وشؤم صنيعهم، يخوضوا ويلعبوا، يخوضوا بما يتفكهون به من الكلام الباطل، والتهم الجزاف التي يطلقونها على النبي ﷺ وعلى القرآن، فهذا هو الخوض.

ويلعبوا يتلهوا بدنياهم، ويعبثوا بشهواتهم، {فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج:٤٢]، الذي هو يوم القيامة، الذي ضلوا يكذبون به، {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ} الأجداث هي القبور، جمع الجثث، وذلك بعد الصيحة الثانية.

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٠-٥١].

{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)} [المعارج: ٤٣]، وهذا الوصف هو الوصف الذي وصفهم به في سورة القمر {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} [القمر:٨] أي مسرعين، كأنه يتقفاهم متقفٍ، ويطردهم، {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا} [المعارج: ٤٣] تنشق قبورهم عنهم، يعيدهم الله خلقًا جديدًا سبحانه وبحمده، حتى الذي تفرق لحمه في بطون السباع، وحواصل الطير، وأجواف الحيتان، أو صار رمادًا، يعيده الله خلقًا جديدًا، وينشئه نشأة أخرى.

فيقومون لرب العالمين، {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين:٦]، ثم يدعوهم الداعي، ويناديهم المنادي فيخرجون سراعًا، في مشهد مهيب عجيب، {كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)} وصفهم الله ﷻ بوصف يمارسون وهو حين يتوجهون إلى هذه الأنصاب.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الأنصاب مفردها نُصب وهو الصنم، يوفضون أي يأتونه ويسعون إليه، وربما كان بمعنى أيضًا يستلمونه، فكأنهم حينما يخرجون من قبورهم، بهذه السرعة يشبه فعلهم في الدنيا حينما يأتون إلى أحد هذه الأنصاب التي يعبدونها من دون الله، ويتزاحمون عليه ويقبلون عليه، ليتمسحوا به، ويطوفوا به، {كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣)}، ثم وصف حالهم الذي ينم عن ما في قلوبهم، {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج: ٤٤].

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ} فأبصارهم ذليلة خاشعة، خاضعة، والبصر هو خلاصة الوجه، والوجه هو مرآة القلب، فيُعبر الله تعالى دومًا بالوجه وبالبصر؛ لأنه هو المرآة، وهو المعيار الذي من خلاله يتبين ما يعتمل في القلب، {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} أي: تعتريهم ذلة، وانكسار، كيف لا، قال الله ﷻ: {يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى:٤٥] أجارنا الله وإياكم، يا لها من صدمة، يا لها من مفاجأة.

ذلك اليوم الذي كانوا يكذبون به، ها هم الآن يعيشونه، {ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج: ٤٤]، وهو ما كانوا يوعدون في الدنيا.

وبهذا تمت آيات هذه السورة، ونُكمل بقية الوقت في ذكر الفوائد من هذه الآيات، أي من الآية التاسع عشرة إلى آخرها.

الفوائد المستفادة:

الفائدة الأولى: عناية القرآن بصفات الإنسان الجِبلية.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

لا يقولن قائل علم النفس علم تكون حديثًا، علم النفس صناعة غربية، لا علم النفس في كتاب الله، وهو أوثق وأدق وأصدق، فينبغي لأهل الإسلام أن يعولوا عليه، يستخرجوا الصفات الإنسانية الأساسية مما أخبر الله تعالى في كتابه.

الفائدة الثانية: صفة الهلع وتفسيرها، وشموليتها لبقية الأوصاف.

يعني لما قال الله: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج: ١٩] فسرها بما بعدها، فدل على أن الهلع يشمل الحالين، وهو حال المنع، وحال الجزع كلاهما، والإنسان يتقلب بين هذين الأمرين، بين خوف ورجاء، ورغبة ورهبة.

الفائدة الثالثة: ذم الجزع، والشح، وفضيلة الصبر، والبدء.

ينبغي لنا عباد الله، أن نتخلق بأخلاق القرآن، وأن نتخلص مما ذمه القرآن، فينبغي للمؤمن أن يترقى ويسمو بنفسه عن الجزاء، فلا يكن أحدنا عند أدنى مصيبة، ينهار ويجزع، ويُنادي بالويل والثبور، وعظائم الأمور، كما هو حال النساء والصبيان وضعاف العقول، ينبغي للإنسان أن يتجلد.

ومن يتصبر يُصبره الله، بل إن هذا أمر يُعد من أمهات الأخلاق، أي: الصبر والتجلد، حتى إن الشاعر الجاهلي[1]:

وتجلدي للشامتين أريهمُ أني لريب الدهر لا أتضعضع

فهم يفتخرون بهذا؛ لأنها عنوان قوة.

كذلك أيضًا ينبغي للإنسان أن يتخلص من الشح والإمساك، عليه أن يعود نفسه على البذل والعطاء، وأن تكون الدنيا في يده سهلة، لا تكون متجبرة في قلبه، بل يبذل ويعلم أن الله يُخلفه، {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ:٣٩].

(١) أبي ذُؤيب الهُذلي.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الرابعة: من الفوائد أيضًا أثر الصلاة في عصمة الإنسان، وخلاصه من آفات النفوس.

هذه الحزمة من الأوصاف الكريمة، ما كانت لتأتي إلا بسبب الصلاة، ولهذا كأنما هي بين قوسين، فتحت بالصلاة وأُغلقت بالصلاة، {إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ} [المعارج:٢٢-٢٣] ثم قال: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج:٣٤-٣٥] علام يدل ذلك؟ يدل على أن الصلاة هي الغذاء، وهي الدواء، منها يقتات المؤمن، فكلما كان المؤمن أكثر تعلقًا بالصلاة، وتذوقًا لها، زانت أخلاقه، وطابت نفسه، وكرم طبعه، فهذا كله من بركات الصلاة.

الفائدة الخامسة: من الفوائد أهمية الديمومة على إقام الصلاة، والسكينة فيها، وإثبات العمل.

كما أسلفنا في معاني دائمون، فعلى الإنسان أن يحافظ على الصلاة، وألا يخرم منها شيئًا، عليه أيضًا أن يكون خاشعًا ساكنًا فيها حتى ينال وصف الفلاح، {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ} [المؤمنون:١-٢]، وأن يديم العمل الذي يبتدئه، فإذا كان قد عود نفسه على السنن الرواتب فلا يدعها، على الوتر لا يدعه، على قيام الليل لا يدعه ... وهكذا.

الفائدة السادسة: أيضًا من الفوائد، تحريم ترك الصلاة، وانتقاصها كمًا وكيفًا.

لأنه حينما قال دائمون، دل ذلك على حرمة ترك الصلاة، أو انتقاص شيء منها أو من أركانها، فهذا يدل على أن هذا من أخص أوصاف المؤمنين.

الفائدة السابعة: وفي الآيات أيضًا من الفوائد: بيان حق المال ومستحقه.

حق المال {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [المعارج:٢٤-٢٥]، فالمستحق هو السائل والمحروم.

الفائدة الثامنة: ومن فوائد الآيات: وجوب الإيمان باليوم الآخر.

{وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المعارج:٢٦]، لا بُدَّ من تصديق جازم، مترسخ متجذر في القلب بيوم القيامة.

٩) الفائدة التاسعة: وجوب الخشية من عذاب الله.

{وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المعارج:٢٧]، فلا بُدَّ لك أيها المؤمن، أن تتأكد من وجود هذه الخشية في قلبك.

الفائدة العاشرة: ومن الفوائد خطر الاغترار والأمن من عذاب الله.

{إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج:٢٨]، فلا يظنن ظان أنه قد ضمن الجنة بيمينه وأنه امتلك صكًا في دخول الجنة، هذا بيد الله، كن دومًا بين الخوف والرجاء، يقول أبو الدرداء: "لو أعلم أن لي ركعتان متقبلتان، لعلمت أني من أهل الجنة، ذلك أن الله تعالى يقول: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة:٢٧]".

نحن قد صلينا المغرب قبل قليل، هل منا من سائل نفسه، أصلاتي مقبولة أم لا؟ لا نعلم، نعمل العمل ولكننا نرجو ونخاف.

الفائدة الحادية عشرة: ومن الفوائد أيضًا وجوب العفة، وتحصين الفروج.

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج:٢٩-٣٠]، ويدخل في هذا معشر المؤمنين، ومن بلغ الأسباب التي تؤدي إلى تحصين الفروج، فيحفظ الإنسان بصره وسمعه وعقله من

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

مقدمات هتك الفروج، فلا يطلق بصره في حرام، ولا يصغي إلى حرام، ولا يفكر في حرام، يعني لا يتقصد التفكير.

أما ما هجم على قلبه من دون إرادة فإنه لا يؤاخذ عليه، لقول النبيﷺ: (إِنَّ اللهَّ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[1]، (ومَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ)[2]، كما أنه لا يؤاخذ على النظرة الأولى، كما قال النبيﷺ: (يَا عَلِيُّ لا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ)[3]، لكن المحذور هو أن يطلق بصره، فيما حرم الله، أو سمعه في الإرخاء، ويرخي سمعه إلى الخناء والفجور والعُهر، وغير ذلك من مثيرات الغرائز، أو يُعمل فكره في الحرام.

فهذه تدخل أيضًا في حفظ الفروج؛ لأنها مقدمات وأسباب.

ودلت الآيات على إباحة النكاح والتسري، ورفع الحرج والملامة فيهما، فهذا من سنن الفطرة، كما قال النبي ﷺ للنفر الذين قال أحدهم: "لا أتزوج النساء" قال: (وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[4] ودلت الآيات على تحريم الاستمتاع بالفروج في غير ما أباح الله، وأنه من العدوان، لقوله: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المعارج:٣١].

ويتفرع عن هذه الفائدة: تحريم الزنا، واللواط، والوطء في الدُّبر، وحال الحيض، والاستمناء، كل هذه محرمة، فلا يحِل للرجل أن يطأ ولا زوجته ولا سريته في الدُّبر، حتى

---

(1) أخرجه ابن ماجه رقم (٢٠٤٥).
(2) أخرجه البخاري رقم (٦٦٦٤)، ومسلم رقم (١٢٧).
(3) أخرجه الترمذي رقم (٢٧٠١).
(4) أخرجه البخاري رقم (٥٠٦٣)، ومسلم رقم (١٤٠١).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

جاء في الحديث: (مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا)[1]، وجاء أيضًا (مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[2].

وكذلك حال الحيض، لقول الله تعالى ولا تقربوا النساء في المحيض، حتى يطهرن، {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [البقرة:٢٢٢]، فالدم هو الأذى، فلا يحل أن يطأ الإنسان امرأته حال الحيض، فإن فعل فعليه الكفارة دينار أو نصفه، مع التوبة والاستغفار.

مما نستفيده أيضًا: ما أسلفنا: تحريم نكاح المتعة.

الذي يفعله الرافضة، بأن يؤاجر امرأة، يقول: "نكحتك لمدة شهر" هكذا كأنها هي استئجار فرج، أو الشغار، أو التحليل، نظرًا لمخالفتها لمقاصد النكاح، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [الروم: ٢١] لما؟ {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم:٢١].

ويمكن أن ندخل في هذا ما بات يسميه بعض الناس، الزواج بنية الطلاق، ينشئ سفرًا ليستمتع ويعود، هذا غير ما كان يتحدث عنه الفقهاء الأولون، أن ينزل الإنسان في بلد لتجارة، أو عمل يريد أن يمكث سنوات، فيقول: أُعف نفسي- بالنكاح، فإذا أردت السفر يمكن أن يفارق ويمكن أن أرتحل بامرأتي.

أما ما يفعله بعض السفهاء، من أن ينشئ سفرًا من بلده إلى بعض البلدان، لكي يستمتع، هذا قد قال عنها شيخنا رحمه الله، يعني شيخنا ابن عثيمين قال: "هذا زنا، وهؤلاء زُناة".

---

(1) أخرجه أحمد رقم (١٠٢٠٦).
(2) أخرجه أحمد رقم (١٠١٦٧)، والترمذي رقم (١٣٥)، وابن ماجه رقم (٦٣٩).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

الفائدة الثانية عشرة: وجوب رعاية الأمانات، وأدائها وتحريم الخيانة.

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المعارج:٣٢]، وكذلك وجوب الوفاء بالعهود، وإتمامها وتحريم الغدر ، للآية نفسها.

الفائدة الثالثة عشرة: وجوب تحمل الشهادة، وأدائها وتحريم كتمانها.

لقوله: {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ} [المعارج:٣٣].

الفائدة الرابعة عشرة: وجوب المحافظة على الصلاة في شروطها وأركانها وواجباتها.

{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج:٣٤].

الفائدة الخامسة عشرة: أن صفات المصلين شاملة لجميع الأقوال والأفعال.

فلما قال: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ} [المعارج:٢٢] فبين أن جميع الأحوال والأقوال في الأموال، وغيرها أنها داخلة في صفات المصلين.

الفائدة السادسة عشرة: التعجيب من حال الكافرين، ونفرتهم من النبيﷺ.

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} [المعارج:٣٦].

الفائدة السابعة عشرة: استهجان أماني الكافرين، أماني الكافرين وغرورهم

{أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} [المعارج:٣٨]، هذا استهجان لأمانيهم الفارغة، ودعاويهم العريضة.

الفائدة الثامنة عشرة: تذكير الكافرين بأصلهم المهين.

{كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج:٣٩]، اذكر أصلك، حتى تطامن في كبريائك.

الفائدة التاسعة عشرة: إقسام الله تعالى كما شاء.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

{فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج:٤٠]، فأقسم الرب بنفسه، أقسم بنفسه بوصفه رب المشارق والمغارب.

الفائدة العشرون: كمال قدرة الله تعالى على الخلق والإعادة. {إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج:٤٠-٤١].

الفائدة الواحد والعشرون: إمهال الكافرين واستدراجهم.

كما قال: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا} [المعارج:٤٢] لا تغتر حينما ترى الله ﷻ، إن الله يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته، وعلى المؤمن أن يحذر من الاستدراج، على المؤمن أن يحذر أن يكون يُمهل له، وألا يكون ما هو فيه نوع من الإمهال؛ ولهذا جاء في بعض الآثار عن عقبة بن عامر ﷺأن النبي ﷺقال: (إذا رأيتَ اللهَ يُعطِي العبدَ من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراجٌ، ثم تلا رسول الله صل الله عليه وسلم قوله تعالى {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤])[1].

الفائدة الثانية والعشرون: إثبات البعث، وصفته، كما قال الله ﷻ: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج:٤٣]، وبيان حال الكافرين البئيس يوم القيامة {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} [المعارج:٤٤]، وأخيرًا، تحقق موعود الله تعالى وعدم إخلافه {ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [المعارج:٤٤].

وبهذا تم الكلام على سورة المعارج، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) أخرجه أحمد رقم (١٧٣١١).

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله